التشيع

نشأته وتطوره سياسيا وعقـديا

نعمان جغيم

مطبعة جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية

جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية ببروناي دار السلام

١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

إصدار:
مطبعة جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية
مركز البحوث والنشر
جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية
سلطنة بروناي دار السلام

© نعمان جغيم

التشيع نشأته وتطوره سياسيا وعقديا

الطبعة الأولى ٢٠١٧

جميع حقوق الطبع محفوظة. غير مسموح بطبع أي جزء من أجزاء هذا الكتاب، أو خزنه في أي نظام لخزن المعلومات واسترجاعها، أو نقلها على أي هيئة أو بأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو شرائط ممغنطة أو ميكانيكية، أو استنساخاً، أو تسجيلاً، أو غيرها إلا بإذن من صاحب حق الطبع.

الرقم الدولي: 978-99917-82-52-2 (غلاف ورقي)

Perpustakaan Dewan Bahasa dan Pustaka Brunei
Pengkatalogan Data-dalam-Penerbitan

NAAMANE Djeghim.
al-Tasyayyu' : Nasy'atuhu wa Tathowwuruhu Siyasiyyan wa 'Aqdiyyan. = Syiah : Kemunculan dan Perkembangannya dari segi Politik dan Aqidah. / Naamane Djeghim. -- Bandar Seri Begawan : UNISSA Press, Universiti Islam Sultan Sharif Ali, 2017.
166p. 17.78cm x 25.4cm.
ISBN 978-99917-82-52-2 (Paperback)
1. Shiites religious practice 2. Shiites--Doctrine 3. Islamic Sects 4. Shi'Ah--Doctrines 5. Ahi'Ah--Apologetic works 6. Syiah Islam I.Title

297.82 NAA (DDC 23)

تصميم الغلاف: Syarikat Percetakan Juta Jaya Sdn. Bhd.
طبع من طرف: Syarikat Percetakan Juta Jaya Sdn. Bhd.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الهادي إلى الصراط المستقيم، والصلاة والسلام على رسوله الأمين الذي بلّغ الرسالة وأدى الأمانة.

إن الفِرق الدينيّة تنشأ عادة نتيجة ظروف متنوعة، ثم تتطوّر تلك الفِرق وتَنْمُو في اتجاهات مختلفة من حيث زيادة عدد الأتباع، وتوسيع المنظومة الفكريّة والفلسفيّة للفِرْقة، ووضع أُسُسٍ ومصادر خاصة بها. والفِرق الدينيّة من حيث العلاقة بين الجانبين النظري والتطبيقي على نوعين: **النوع الأول**: فِرق تنشأ على أساس إطارٍ نظريّ عام مُحَدَّد مُسْبَقاً؛ فالجانب النّظري فيها يكون سابقاً، ثُمّ تنشأ تجربة عمليّة على أساس الإطار العام لتلك الفلسفة النّظريّة، **والنوع الثاني**: فِرق تبدأُ تجربةً عمليّة دون أن يكون لها إطار نظريّ متكامل ومُحَدَّد مُسْبَقاً، ثم بعد مدة من التّجربة العمليّة والتّطوُّر التاريخي يبدأ فَرْزُ مَنْظُومَة فكريّة مبنيَّة على تراكمات المسيرة العملية لتلك الفِرقة، ثم تنمو تلك المنظومة وتتطوَّر إلى أن تكتمل وتصبح هي الإطارُ الفكريّ الموجِّه لحركة الفرقة والـمُفَسِّرُ للتجربة العمليّة لها عبر مراحل التطوُّر.

ويُعَدُّ التيار الشيعيّ بكلّ فِرَقِهِ الـمُخْتَلِفَة الـمُتَنَاحِرَة مِن النّوع الثاني؛ أي أنّ التّجربة العمليّة فيه كانت سابقة على الإطار النظريّ. فالتيار الشيعيّ لم ينطلق في مسيرته من فلسفة نظريّة متكاملة، ولم يكن له منذ البداية إطار فكريّ واضح ومتكامل، بل انطلق حركة سياسية تقوم على تفضيل عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- على غيره من الصحابة والقول بأولويته لتولي الخلافة. ولَمّا كانت فِكْرة النِّظام الوراثي هي السائدة في أنظمة الحكم آنذاك، وكانت الأسرة العلويّة هي أَقْرَبُ الأُسَرِ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، كانت أكثر المؤهلين للحصول على المشروعيّة الدينيّة، زيادة على ما كان يتمتع به علي بن أبي طالب رضي الله عنه من صفات حميدة. وقد اتفق شيعة عليّ بن أبي طالب من

أهل العِراق على القَوْلِ بفكرة الحُكْمِ الوراثي في ذريته، كما اتّفقوا على القول بإمامة ابنيه الحسن والحسين من بعده، ولكنهم بعد مقتل الحسين اختلفوا فيمن يكون أولى بالإمامة. ونظراً لعدم وجود إطار نظريّ مُسْبَق للتيار الشيعي يوجّهُ مَسيرَتَهُ ويوفّر المرجعيّة لأتباعه، فقد واجه هذا التيار تصدّعات وانقسامات متواصلة على مدى أكثر من قرنين من الزمن، وقامت كل فرقة بتطوير مبادئها السياسية والعقدية الخاصة بها.

هذه الدراسة تقدم تفسيرا لنشأة التيار الشيعي وتطوره من معارضة سياسية إلى فرقة دينية ذات منظومة فكرية شاملة، وتبيّن أسباب ظهور المعتقدات الأساسية للشيعة الإثني عشرية باعتبارهم أهم الفرق الشيعية الموجودة وأكبرها، وهي دراسة لا تُعنى بسرد تفاصيل الأحداث التاريخية، كما لا تُعنى بعرض تفاصيل عقائد الفِرق الشيعية، فذلك موجود في كتب الفرق.

وقد اعتمدت فيها أساسا على أحد المصادر الأساسية للشيعة الإثني عشرية، هو كتاب **أصول الكافي** للكليني (ت٣٢٩هـ)،[1] وقد تم اختيار هذا الكتاب لاعتبارين:

أولهما: مكانة هذا الكتاب في المذهب الشيعي الإثني عشري، حيث إنه يعد المصدر الأوّل للحديث عندهم،[2] واتفق الشيعة الإثني عشرية على تفضيله والأخذ به والثّقة بأخباره.[3]

وثانيهما: أنه كتاب أُلف بعد انقطاع سلسلة الإمامة بفترة قصيرة، وهي الفترة التي كانت فيها النظرية الشيعية الإثني عشرية في طور الاكتمال، وقد جمع عددا ضخما من

---

[1] كتاب **الكافي** ينقسم إلى قسمين: القسم الأول: **الأصول من الكافي** وهو أربعة أجزاء، وهو الذي رجعت إليه في هذه الدراسة، والقسم الثاني: **الفروع من الكافي**. والنسخة التي اعتمدتها مطبوعة في إيران وعليها شرح باللغة الفارسية. والكليني هو محمد بن يعقوب بن إسحاق، أبو جعفر الكليني، مات ببغداد في شعبان سنة ٣٢٩هـ.

[2] المصادر الأساسية للحديث عند الشيعة هي: ١ – **الكافي** للكليني، ٢ – **مَنْ لا يَحْضُرُهُ الفَقِيه** للصدوق، ٣ – **تهذيب الأحكام** لأبي جعفر الطوسي، ٤ – **الاستبصار** لأبي جعفر الطوسي.

[3] انظر: السيد حسن الصدر. **نهاية الدراية**. ص٢٢٠؛ **تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام**. ص٢٨٨؛ نقلاً عن عبد الحميد خروب: **رواية الحديث عند الشيعة الإمامية**، ص٣٢١-٣٢٢.

الآثار التي ترصد نشأة الفكر الشيعي وتطوره، وبالتالي فهو من أفضل المصادر الأصلية التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة تطور الفكر العقدي والسياسي الشيعي.

أما فيما يخص الأحداث التاريخية فقد اعتمدت على كتابين لمؤلفين من أنصار العلويين، ولهما ميول شيعية ظاهرة، ولا يمكن اتهامهما بتزوير الحقائق التاريخية ضد الشيعة، هما: **تاريخ اليعقوبي** لأحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (توفي في حدود سنة ٢٩٦هـ أو بعدها)، و**مروج الذهب ومعادن الجوهر** لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ).

أما ما يتعلق بالمعلومات الخاصة بالفِرَق الشيعية فقد اعتمدت أساسا على كتاب **فرق الشيعة** لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي، وهو من كبار رجال الشيعة الإثني عشرية في زمنه،[٤] والكتاب من أقدم المصادر الشيعية.

وفيما يتعلق ببعض المصادر الشيعية التي لم تتوفر لديّ نقلت عن الدكتور عبد الحميد خروب في رسالته: **رواية الحديث عند الشيعة الإمامية: دراسة وتحقيق**، وهي رسالة ماجستير غير مطبوعة.

هذا، وأسأل الله سبحانه وتعالى العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة، وأن ينفع بهذا العمل، ويجعله إسهاما في إصلاح حال المسلمين.

---

[٤] أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي لا يعرف بالضبط تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته، ولكنه عاش في النصف الثاني من القرن الثالث ومطلع القرن الرابع، ومما يدل على ذلك أنهم ذكروا في ترجمته أنه كان يجتمع إليه جماعة من نَقَلَة كتب الفلسفة مثل أبي عثمان الدمشقي وثابت بن قرة المتوفى سنة ٢٨٨هـ.

الباب الأول

النشأة والمسيرة التاريخية

الفصل الأول

النشأة السياسية

ظاهرة التَّشيُّع

إن ظاهرة نشوء التيار الشيعي لا تَخْرُج عن الإطار العام لظهور وتطوُّر المذاهب السياسيّة والفكريّة؛ فهو نتيجة تفاعلات اجتماعية وسياسية وثقافية عاشها المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. وهي في أصلها حَرَكَةُ مجموعةٍ من الناس اعتنقت مذهباً سياسيّاً في نُصْرَة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه والقول بأولويّته بالخلافة. ولَمَّا كان النظام السياسي في ذلك الوقت خاضعا لأعراف النظام القبلي والنّظام الوراثي، فإنهم جعلوا الحكم وراثيا في ذريّة الزعيم الرَّمْز الذي رَأَوْهُ أَوْلَى بالحكم، كما جعل الأمويون الحكم وراثيا فيهم، وجعله العباسيون وراثيا فيهم، وتتابع الأمر على ذلك في الممالك التي قامت في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

وفي خضمّ الصراع الاجتماعي والسياسي الذي نشأ بين العشائر والقبائل تطوّرت فكرة القول بأولويّة عليّ بن أبي طالب بالخلافة إلى فكرة الوصاية، وبدأت تأخذ طابعاً دينيّاً زيادة على طابعها السياسي. وكلّما طال أَمَدُ الصِّراع ازداد التّطوُّر حتى وصلت الفكرة في النهاية إلى مرحلة تكوين مذاهب فكريّة وعقديّة متكاملة لمجموعة كبيرة من الفِرَق الشيعية تحمل كلّ إفرازات المراحل المختلفة للصراع.

وقد أدّت الهزائم المتتالية التي مُنِيَّ بها التيار الشيعي على مستوى الصراع على الحكم ضد الأمويين والعباسيين إلى محاولة التَّعْويض عن تلك الهزائم الميدانية ببعض الانتصارات النظريّة، سواء على المستوى السياسي بحَصْر الخلافة في عليّ بن أبي طالب وذريّته وإبطال خلافة غيرهم، أم على المستوى الديني باستقلال الشيعة بمصادر خاصة بهم والطعن في مصادر أهل السنة والجماعة. وقد نتج عن السعي إلى تحقيق ذلك الانتصار النّظري غلوٌّ ومبالغات كثيرة فرضتها ظروف الصراع الطويل، وساعد على ترسيخ تلك المبالغات وعدم

تمحيصها الطابع السِّري الذي كان يتبعه التيار الشيعي في المعارضة السياسية، والتغطيّة على أفكار ومعتقدات أصحابه بمبدأ "التقيّة".

وبعد استقرار المذهب يصبح من الصعب التّراجُع عن تلك المبالغات والأفكار الشاذة؛ لأن ذلك يعني إضعاف المذهب وتعريضه إلى انتقادات وهزّات قد تَهْدم بُنْيَانَهُ من الأساس، خاصة أنّ أكثر ذلك الغلوّ والمبالغة متعلّق بحجر الأساس في البناء الشيعي: وهو مسألة الإمامة! وإذا اكتشف صاحب البيت بعد اكتمال بُنْيَانه أنّ بعضاً من حجارة أساس البيت غريب ودخيل، فإنه من الصعب عليه أن يجازف بنَزْع تلك الحجارة؛ لأنّ في نَزْعها مُجَازَفَة بهدم البنيان كلِّهِ، فلا يبقى أمامه سوى طريق التّبرير والتّغطية، ومحاولة إعطاء المشروعية لتلك الحجارة الغريبة الدخيلة، وجعلها جزءاً أصيلاً من البناء.

بواكير النشأة السياسية

يُرْجِع بعض الشيعة نشأة فِرقتهم إلى ما قبل وجود البشرية على وجه الأرض، وبالضبط إلى الوقت الذي جمع فيه الله سبحانه وتعالى الخلق -في عالم الغيب- على شكل ذُرٍّ وأشهدهم على ربوبيّته سبحانه وتعالى،[٥] حيث أخذ في ذلك الوقت الميثاق على الشيعة بالولاية لعليّ بن أبي طالب وذريته من بعده. روى الكليني بسنده عن بكير بن أعين قال: "كان أبو جعفر عليه السلام يقول: إنّ الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية وهم ذُرٌّ، يوم أخذَ الميثاق على الذُّرِّ والإقرار له بالربوبية ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة".[٦]

كما يُرْجِعُ بعضهم بداية نشأة مذهبهم إلى بداية الرسالة، وأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي وضع بذرة التشيُّع بنفسه، وهو الذي تعهَّدَها بالرعاية والعناية حتى كبرت في حياته وأثمرت بعد وفاته. ومن أجل إثبات ذلك عمدوا إلى تأويل آيات القرآن الكريم

---

(٥) المقصود بذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٢).

(٦) الكليني، محمد بن يعقوب. (١٩٦٨-١٩٧١م). **الأصول من الكافي**. طهران: دار الكتب الإسلامية. ج٢. ص٣١٨.

وبعض أحداث السيرة بما يؤيد ذلك، ودعموا ذلك بنسج شبكة كبيرة من الأخبار حول تلك الأحداث وأسباب نزول القرآن الكريم.[٧]

ومثل هذه المبالغات معهودة عند أصحاب الفِرق الدينية من أجل إثبات المشروعية، وإبراز السَّبْق على الفِرق الدينية المخالِفَة، ولذلك فهي تبقى في إطار المبالغات الخيالية، ولا تحتاج إلى مناقشة علميّة. أما النّظرة الواقعيّة لنشأة التيار الشيعي فتكون وفق ما هو ثابت من الأحداث التاريخية.

لقد ترك غيّاب الرسول صلى الله عليه وسلم فراغاً سياسيّا وإداريّا، وكان لابُدّ من رجل يخلفه ويتولّى إدارة شؤون الدولة الإسلامية. وكان من الطبيعي أن تكون للصحابة آراء مختلفة فيمن يرونه أوْلى بتولّي الحكم بعد الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فظهرت في ذلك ثلاثة توجهّات أساسية: الأول: رأي غالب الأنصار، والثاني: رأي أنصار علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والثالث: رأي بعض وُجهاء المهاجرين.

لقد رأى الأنصار رضي الله عنهم أولويَّتهم بالخلافة. ولِمَ لا؟ فالأرض أرْضُهم، والبلد بلدُهم، والمهاجرون ضيوفٌ عندهم، والريّاسة تكون عادة لصاحب البيت لا للضيف. إنهم هم الذين آووا الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الفارِّين من اضطهاد المشركين في مكة وغيرها من البلاد، وهم الذين وَفَّرُوا أرضيّةَ قيام الدولة الإسلامية وحَمُوها بدمائهم وأموالهم؛ فمن المنطقيّ أن يكون لهم الحقّ في تولّي قيادة تلك الدولة، وتسييرها نحو مستقبل زاهر يضمن التواصل مع مآثر مرحلة النبوّة.

ورأى بنو هاشم أحقيّتهم بالخلافة؛ فهم أقارب الرسول صلى الله عليه وسلم وعشيرته، وهم أولى بوراثته في الحكم، وأرادوا مبايعة علي بن أبي طالب، وأيّدهم في ذلك بعض الصحابة.

---

(٧) انظر في ذلك الكتب الشيعية التي تتحدث عن نشأة المذهب الشيعي والتعريف به مثل: **الشيعة الإمامية** لمحمد حسين المظفري، **الشيعة والتشيع** لجواد مغنية وغيرها.

وفي مقابل رأي الأنصار، رأى بعض وجهاء المهاجرين أن الحكم ينبغي أن يكون في قريش؛ لأنها هي التي يمكن أن تحقق الاجتماع السياسي للقبائل العربية، ورشحوا للخلافة أبا بكر الصديق رضي الله عنه.

لقد كان مما اتَّصَف به الأنصار رضي الله عنهم صفاء النفوس، وإخلاص القلوب، والعطاء والإيثار، وقد جعلتهم تلك الصفات النّبيلة يتخلّون عن رأيهم في أحقّيّتهم بالخلافة بمجرّد أن بيّن لهم أبو بكر رضي الله عنه أنّ مصلحة الأمة في تلك الظروف تقتضي وحدتها، وأنّ وحدتها لا تتمّ إلاّ بأن يكون الخليفة من قريش كما أخبر عن ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم. وبذلك تنازل الأنصار عن فكرة أولويّتهم بالحكم، وقدَّموا مصلحة الأمة على مصلحتهم، وانتهت مشكلتهم، ولم يؤثر عنهم أنهم طالبوا بالحكم فيما بعد.

كما أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه والنَّفر الذين كانوا يرون أولويته للخلافة تنازلوا عن رأيهم، وبايعوا أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما رأوا أنّ المسلمين قد بايعوه، فخضعوا لرأي الأغلبية، وانضووا تحت لواء أبي بكر لخدمة الإسلام والمسلمين، ولم يجعلوا من ذلك قضيّة.

وهذه هي طبيعة الحكم في الإسلام وفي النُّظُم الديمقراطية بصفة عامة؛ كلّ شخص له الحقّ في أن يرشِّح ويقدِّم من يراه أولى بالحكم ويدعو له ويناصره، فإذا تَمّ اختيار حاكم من قِبَل أغلبية المواطنين وَجَبَ على الكلّ العملُ تحت سلطته والخضوع للقوانين العامة للدولة، مع حقّهم في الاحتفاظ بآرائهم ومبرراتهم في اختيار شخص وتقديمه على الآخرين.

لقد كان موقف أولئك الصحابة الذين أرادوا ترشيح عليّ بن أبي طالب للخلافة مجرّد رأي سياسي، ولا يمكن أن يكون إيماناً منهم بفكرة الوصيّة لعليّ بن أبي طالب وذريته، أو اعتقادا بأنّ نظام الحكم الإسلامي يجب أن يكون وراثيّاً في أقارب الرسول صلى الله عليه وسلم، أو اعتقادا بأنّ أولويّة عليّ بالخلافة هي مسألة دينيّة كما يصوِّرها الشيعة. والدليل على ذلك أنّ أغلب الذين رشَّحوا عليّاً للخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم قد غيروا ميولهم فيما بعد لَمّا تغيّرت الظروف؛ ولو كان ترشيحهم لعليّ بن أبي طالب في المرّة الأولى بناءً على حقّ إلهيّ له في الخلافة لَمَا أجازوا لأنفسهم التّراجُع عن ذلك فيما بعد.

فالزبير بن العوام رضي الله عنه كان من الذين رشّحوا عليّاً للخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوا إلى ذلك، ولكنه بعد ذلك اختلف معه بعد مقتل عثمان بن عفّان رضي الله عنه ولم يقف في صفه، وأبو سفيان وعتبة بن أبي جهل كانا من أوائل الذين دعوا إلى ترشيح عليّ للخلافة وعارضوا اختيار أبي بكر الصديق لذلك،[٨] ولكنهما غيّرا رأيهما فيما بعد.

ولم يكن للمجموعة التي كانت تفضل ترشيح عليّ بن أبي طالب للخلافة نشاط سياسي معروف في تأييد عليّ بن أبي طالب سوى أثناء اختيار الخليفة الأول؛ ولذلك فإنّ موقف تلك المجموعة من الصحابة رضي الله عنهم لا يمكن عدُّه نواة المذهب الشيعي؛ لأن بين مواقف وعقائد وأفكار أولئك الصحابة ومواقف وعقائد المذهب الشيعي بُعْدُ ما بين المشرق والمغرب، ولكن يمكن أن يكون ذلك بذرة مذهب سياسي يرى تقديم علي بن أبي طالب بالخلافة.

تبلور التيار السياسي للعلويين

بعد مبايعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة، ونقله مقرّ الخلافة إلى الكوفة، والفتنة التي حصلت بين عليّ وشيعته من جهة ومعاويّة وشيعته من جهة أخرى، تكوّن تيار سياسيّ يناصر خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وكان من الطبيعيّ بعد مقتله أن يُبايع أهلُ الكوفة وما جاوَرَها ابنه الحسن بن عليّ بالخلافة، فهو يمثّل رمْزَ التّواصُل مع القيادة السّابقة، فضلاً عن أن ثقافة الحكم السائدة فيهم هي مبادئ النِّظام الوراثيّ.

ولَمّا رأى الحسن بن عليّ رضي الله عنه عدم جَدْوى الحرب التي يخوضها ضد معاوية فضّل حقن دماء المسلمين، وقرَّر التوقُّف عن القتال والتّنازل عن الخلافة. يقول المسعودي:

---

(٨) من المفارقات أن يطعن الشيعة في إسلام أبي سفيان مع أنه كان من أكثر الناس حماساً لتنصيب عليّ بن أبي طالب للخلافة. فكيف لم يشفع هذا لأبي سفيان؟ ولماذا لم يَعُدَّهُ الشيعة من مؤسسي مذهبهم أو على الأقلّ واحداً من أفراد الفِرقة؟ يبدو أنّ الصراع الذي وقع فيما بعد بين عليّ ومعاوية بن أبي سفيان قد طغى على هذا الموقف، فعَمَّمَ الشيعة نقمتهم على كلّ بني أميّة.

"وقد كان أهل الكوفة انتهبوا سرادق الحسن ورَحْلَه، وطعنوا بالخنجر في جوفه، فلمّا تيقّنَ ما نزل به انقاد إلى الصلح".[٩]

وقد استبشر أغلب المسلمين بتلك الخطوة التي اتّخذها الحسن رضي الله عنه، ورحّبوا بها لِمَا فيها من حَقْن لدماء المسلمين، وحفْظ للأرواح التي تُزْهَق في صِراع سياسي لم تكن تعلم نهايته، حتى سَمُّوا ذلك العام بعام الجماعة. ولكن مجموعة من شيعة عليّ رفضوا ذلك الصّلح رفضاً شديدا، ووصلت بهم المعارضة إلى أن دبَّروا محاولة لاغتيال زعيمهم الجديد الحسن بن علي، وكان صاحب محاولة الاغتيال الجراح بن سنان الأسدي.[١٠]

والملاحظ أنه إلى غاية هذا الوقت لم يكن شيعة عليّ وابنه الحسن رضي الله عنهما يختلفون عن غيرهم من المسلمين في المبادئ العقديّة والفقهيّة، وكان الخلاف بينهم وبين غيرهم من المسلمين محصورا في الآراء السياسية.

بعد تنازل الحسن بن علي عن الخلافة انتهى الصّراع السياسي بانتصار ميدانيّ للأمويين والاستيلاء على السلطة كاملة وخضوع العراق -بما فيه الكوفة- لسلطان الدولة الأمويّة، ولكن فريقاً من شيعة الحسن بن عليّ لم يسلّموا بهذه الهزيمة الميدانيّة، وبقوا يتحيَّنون الفُرص للثورة عليهم وإسقاط حُكمهم.

جاءت المحاولة الأولى بعد حوالي عشرين سنة، حيث كتبوا إلى الحسين بن عليّ رضي الله عنهما يعلنون تأييدهم له ومبايعتهم إياه، ويطلبون منه الحضور إلى الكوفة لتنصيبه خليفة وإعلان الثورة على الأمويين تحت لوائه. ولما انتهى الأمر بالفشل ومقتل الحسين رضي الله عنه انْقَسم شيعتُه من أهل الكوفة إلى طوائف: طائفة شعروا بوَخْزِ الضّمير بسبب خيّانتهم للحسين وعدم الخروج للقتال معه، وقرَّروا أن يُعاقبوا أنفسهم بما عاقب به الله

---

[٩] المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي. (١٩٨٨م). **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. بيروت: المكتبة العصرية. ج٣. ص٩.

[١٠] انظر: اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن واضح. (١٣٥٨هـ). **تاريخ اليعقوبي**. النجف: المكتبة المرتضوية. ج٢. ص١٩١-١٩٢.

تعالى بني إسرائيل؛ وهو قتل أنفسهم[11]،فخرجوا للقتال حتى قُتِلوا جميعاً، وهم الذين أُطْلِق عليهم اسم "حركة التوّابين"؛ لأن عمَلَهم ذلك كان في اعتقادهم رَمْز التّوبة من خيّانة الحسين وتسْليمه للقتل في معركة كربلاء.

واكتفت طائفة بتعيين إمام نظريّ يمثّل رَمْزَ التّواصل مع الخطّ العلوي ويمثّل السّلطة الروحيّة لهم، ورأوا في ذلك كِفاية لهم، وهؤلاء هم الذين اختاروا زين العابدين عليّ بن الحسين ليكون الإمام الرّمز لهم.

وطائفة ثالثة لم تكن ترى جَدْوى من قتْل النّفس للتّكفير عن ذَنْبِ خيّانة الحسين بن عليّ، ولا رأت فائدة في فكرة تعيين إمام نظريّ لا سلطة له في الواقع العملي، ورأوا أنّ الخيار الأفضل هو مواصلة الثورة ضدّ الأمويين في صفٍّ مُنَظَّمٍ مع رفْع شِعار الانتساب إلى واحد من ذريّة عليّ بن أبي طالب، وهم الذين قاتلوا في صفّ المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي اختار محمد بن عليّ بن أبي طالب (المشهور باسم محمد بن الحنفية) ليكون شِعَارَ المشروعيّة لثورته وطموحه للحُكْم.

استمرّ الشيعة في خطّ عدم التّسليم بالهزيمة، وفي حَجْب الولاء الباطني عن السلطة القائمة وإعطائه لإمامهم النظريّ الذي يمثّل رمْز التّواصل مع البيت العلويّ، فذلك يمثّل أضعفَ مراتب الثّورة: الثّورة بالقلب ماداموا لم يُفْلِحُوا في الثورة باليد. وكانت فكرة تعيين إمام نظري من ذرية علي بن أبي طالب هي القاسم المشترك بين عشرات الفِرق الشيعية، وإن كانوا قد اختلفوا اختلافاً كبيراً في من يروه أوْلى بتلك الإمامة النظريّة، كما اختلفت مواقفهم العسكريّة من السلطتين الأموية والعباسية.

ظهور فكرة وصاية علي رضي الله عنه

لقد أثبت كبار رجال الدين الشيعي القدامى أنّ أوّل من أظهر الطعن في الصحابة، وقال بفكرة كون عليّ بن أبي طالب وصيّاً بعد الرسول صلى الله عليه وسلم هو عبد الله بن سبأ

---

[11] وذلك في قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ (البقرة: ٥٤).

الذي كان يهوديا وأعلن إسلامه وصار من شيعة علي رضي الله عنه، وأنه نقلها من التراث اليهودي. يقول رجل الدين الشيعي الحسن بن موسى النوبختي في كتابه "فِرَق الشيعة" عن عبد الله بن سبأ: "وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرّأ منهم، وقال إن عليّا عليه السلام أمره بذلك، فأخذه عليّ فسأله عن قوله هذا، فأقرَّ به، فأمر بقتله، فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين أتقتل رجلا يدعو إلى حُبِّكم أهل البيت، وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك؟ فصيَّره إلى المدائن.[١٢] وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب عليّ عليه السلام أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم، ووالى عليّا عليه السلام. وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة، فقال في إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله في عليّ عليه السلام بمثل ذلك. وهو أول من شَهَرَ القول بفرض إمامة عليّ عليه السلام، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه. فمن هناك قال من خالف الشيعة إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية."[١٣]

---

[١٢] اختلفت الروايات الشيعية في موقف علي بن أبي طالب من عبد الله بن سبأ، فهذه الرواية تذكر أنه نفاه إلى المدائن، ورواية أخرى تقول إنه قتله. يقول رجل الدين الشيعي عبد الله المامقاني: "عبد الله بن سبأ: بالسين المهملة المفتوحة، والباء الموحدة المفتوحة والألف قد وقع في طريق الصدوق في باب التعقيب من الفقيه، وقال الشيخ في باب أصحاب أمير المؤمنين: عبد الله بن سبأ الذي رجع إلى الكفر وأظهر الغلو، وقال ابن داود: عبد الله بن سبأ رجع إلى الكفر وأظهر الغلو، كان يدّعي النبوّة، وأنّ عليّاً هو الله، فاستتابه ثلاثة أيام فلم يرجع فأحرقه بالنار في جملة سبعين رجلاً ادعوا فيه ذلك". عبد الله المامقاني. **تنقيح المقال في أحوال الرجال**. طبعة النجف. ج٢. ص١٨٣-١٨٤. نقلا عن: عبد الحميد خروب. **رواية الحديث عند الشيعة الإمامية**. ص٤٠.

[١٣] النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى. (١٩٣١م). **فرق الشيعة**. نشر جمعية المستشرقين الألمانية، طبعة إستانبول. ص١٩-٢٠. والكلام نفسه نجده عند رجل الدين الشيعي أبو عمرو الكشي (توفي في حدود ٣٥٠هـ)، حيث يقول: "وذكر أهل العلم أنّ عبد الله بن سبأ كان يهوديّاً فأسْلَمَ ووَالَى عليّاً، وكان يقول وهو على يهوديّته في يوشع بن نون وصيّ موسى بالغلوّ، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في عليّ مثل ذلك، وكان أوّل من شَهَرَ بالقول بِفَرْضِ إمامة عليّ، وأظْهَرَ البراءة من أعدائه، وكَاشَفَ مخالفيه وكَفَّرَهُم، فمن هنا قال من خَالَفَ الشيعة إنّ أصْلَ التَّشَيُّعِ والرَّفْضِ مأخوذٌ من اليهودية." الكشي. أبو عمرو. (د.ت.). **رجال الكشي**. كربلاء ــ بغداد: مؤسسة الأعلمي. ص٩. نقلا عن: عبد الحميد خروب. **رواية الحديث عند الشيعة الإمامية**. ص٣٩.

قائمة المراجع

ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم. (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م). **أسد الغابة في معرفة الصحابة**. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن. (١٤٠٦هـ). **الضعفاء والمتروكون**. تحقيق: عبد الله القاضي. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي. (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م). **الموضوعات**. تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان. المدينة المنورة: المكتبة السلفية.

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي. (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م). **تقريب التهذيب**. تحقيق: محمد عوامة. سوريا: دار الرشيد.

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي. (١٣٢٦ه). **تهذيب التهذيب**. الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية.

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع. (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م). **الطبقات الكبرى**. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عاشور، محمد الطّاهر بن محمد. (١٩٨٥م). "المهدي المنتظر". ضمن كتاب: **تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة**، جمع: عبد الملك ابن عاشور. تونس-الجزائر: الشركة التونسية للتوزيع، المؤسسة الوطنية للكتاب.

أحمد بن حنبل. (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م). **مسند أحمد**. تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٤٢٢هـ). **صحيح البخاري**. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. (د.م.): دار طوق النجاة.

الترمذي، محمد بن عيسى. (١٩٩٨م). **سنن الترمذي**. تحقيق: بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الحاكم، محمد بن عبد الله بن محم. (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م). **المستدرك على الصحيحين**. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى.

الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود. (د.ت.). **الأخبار الطوال**. تحقيق: عبد المنعم عامر. مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال. مصر: وزارة المعارف والإرشاد القومي.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م). **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**. تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب. جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. (١٣٨٢هـ/١٩٦٣م). **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**. تحقيق: علي محمد البجاوي. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.

السماوي، محمد التيجاني. (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م). **ثم اهتديت**. لندن: مؤسسة الفرقان.

السيد أبو المعاطي النوري وآخرون (جمع وترتيب). (١٤١٧هـ/١٩٩٧م). **موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله**. بيروت: عالم الكتب.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (د.ت.). **تاريخ الخلفاء**. تحقيق: حمدي الدمرداش. السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز.

الشريف المرتضى. (١٤٠٥ه). **رسائل الشريف المرتضى**. قم: دار القرآن.

الشيخ المفيد. (١٤١٠هـ). **المقنعة**. قم: مؤسسة النشر الإسلامي. الطبعة الثانية.

الصدر، محمد باقر. (١٤١٧هـ). **بحث حول المهدي عجل الله فرجه**. تحقيق: وتعليق عبد الجبار شرارة. قم: مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

علي سامي النشار. (١٩٦٨م). **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**. القاهرة: دار المعارف. الطبعة التاسعة.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (د.ت.). **كتاب العين**. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. د.م: دار ومكتبة الهلال.

الكليني، محمد بن يعقوب. (١٩٦٨-١٩٧١م).**الأصول من الكافي**. طهران: دار الكتب الإسلامية.

لبيب بيضون. (١٤٠٨هـ). **تصنيف نهج البلاغة**. إيران: مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي. الطبعة الثانية.

محمد مهدي الآصفي. **آية التطهير**. مبحث: أهل البيت عليهم السلام: من هم أهل البيت عليهم السلام.http://www.al-islam.org/short/arabic/tathir/3.htm

مركز الرسالة. **العصمة حقيقتها وأدلتها**.سلسلة المعارف الإسلامية (١٨).

المسعودي. (١٩٨٨م). **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. بيروت: المكتبة العصرية.

مسلم بن الحجاج. (د.ت.). **صحيح مسلم**. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى. (١٩٣١م). **فرق الشيعة**. نشر جمعية المستشرقين الألمانية، طبعة إستانبول.

الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر. (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م). **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**. تحقيق: حسام الدين القدسي. القاهرة: مكتبة القدسي.

اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن واضح. (١٣٥٨ه). **تاريخ اليعقوبي**. النجف: المكتبة المرتضوية.